حريق المسجد النّبوِيّ

رغم أهميّة تلك الحادِثة التي تكرَّرت مرَّتين في التاريخ المُوثَّق، إلّا أنّها لمْ تنَل شُهرةً بين الأحداث التاريخية أو الدينية.

في عام ٦٥٤ هجريّة (١٢٤٩م)، وفي أوّل ليلة في رمضان -بعْد صلاة القِيام- تَوجَّه أحَد خُدّام المسجد إلى أحَد المخازن وفي يده قنديلٌ، زَيتيٌّ، مُضيءٌ.

سقط القنديل من يَد الرجل، وسُرعان ما انتقلت ناره إلى الحَصير الموجود بأرضِيّة المسجد وقتها؛ اشتعلت النار وامتدّت حتّى وصلت إلى مُحتويات المسجد من مصاحف ومخطوطات وأعمدة خشبيّة، إلى جانب المِنبر الرئيسي الشريف.

خَرَج الخادم الذي أسقَط القنديل بَعْد انتشار النيران، وأخَذ يُنادي في أنحاء المدينة أنّ المسجد يَشتعِل[1]. قام أهلُ المدينة بمُحاوَلة إطفاء الحريق، غَيْر أنّ النار امتدّت في أركان المسجد عدا بيت النبي -صلّى الله عليه وسلم- وحجرات الدفن، نَجَت أيضًا خِزانة بها نُسخة المُصحف الأصليّة وبعض الذخائر والنفائس مِن الكتب والمخطوطات.

(١)المسجد النّبوي الأصلي هو نفسه الرّوضة الشريفة في وقتنا هذا.

قام أمير المدينة المُنوَّرة بإرسال مَن يُخْبِر الخليفة ''المُستَعصِم''؛ الذي أمَر بعِمارة المسجد فورًا، وأرسَل البنّائين والنّجّارين وسائر الحِرَف ضِمْن قوافِل ذلك العام.

أثناء الترميم احتاج العُمّال لترميم جزء من سَقف حُجرة النبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- فأرسلوا يسألون ''المُستَعصِم''، الذي كان مُنشغِلًا في مُقاوَمة التتار؛ فاضطُرّ العُمّال إلى بناء سَقفٍ آخر فوق السقف الأصلي، دون دُخول الحُجرة الشريفة.

بَعْد مَقْتل ''المُستَعصِم'' أصدَرَ الأمير «المَنصور بن أيبك» أمْرًا باستكمال الترميم، ومِن بَعْده «الظاهر بيبرس».

استمرّ الترميم عَبْر السّنين حتّى عام ٨٨٨ هجريّة، حين قام السلطان ''الأشرف قايتباي'' بترميمه كامِلًا، مع بعض التعديلات القائِمة حتّى الآن.

يُذكَر أنّ الحريق الثاني كان عام ٨٨٦ حين ضَرَبت صاعِقة المِئذنةَ الرئيسة؛ تُوُفِّيَ على إثرها كبير المُؤذّنين -وقتها- الشيخ «شمس الدين محمد بن الخطيب».